

الدرس الثاني والعشرون

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمدا عبده
ورسوله صلى الله وسلّم عليه وعلى آله وأصحابه أجمعين ..

أمّا بعد..

يقول الحافظ المنذري - رحمه الله - في كتابه كفاية المتعبّد وتحفة المترهد..

[ما يقال عند المساء]

[روى عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه إذا أمسى قال : « أمسينا وأمسي
الملك لله ، والحمد لله ، لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، أراه قال فيهن : له الملك وله
الحمد وهو على كل شيء قدير ، ربّ أسألك خير ما في هذه الليلة و خير ما بعدها ،
وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها ، ربّ أعوذ بك من الكسل و سوء الكبر و
أعوذ بك من عذاب في النار و عذاب في القبر »

وإذا أصبح قال ذلك أيضا : « أصبحنا و أصبح الملك لله » أخرجه مسلم .

وقوله : وسوء الكبر: روي بسكون الباء بمعنى التعظم على الناس ، وبفتحها بمعنى كبر السن والخرف ،
و ذكر الخطابي الوجهين ورجح الفتح]

الشرح..

قال المصنف رحمه الله تعالى : [ما يقال عند المساء] .. أي من الأذكار والدعوات المأثورة عن النبي
الكريم صلوات الله وسلامه عليه ، أورد رحمه الله حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال : " كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا
أمسينا قال : أمسينا و أمسى الملك لله و الحمد لله "

قوله " إذا أمسينا " .. أي بلغنا المساء ، وأدركنا المساء ، ودخلنا في فترة المساء ، قال عليه الصلاة والسلام
حينئذ " أمسينا وأمسي الملك لله و الحمد لله " وعلم من ذلك أن هذا ذكر يقال في هذه الفترة
؛ فترة المساء ، سواءً جاء بها هذه الكلمات في أول المساء أو وسطه أو آخره ، فموضعها إذا

أمسى المرء ، إذا أمسى المرء جاء بهذا الذكر وهذه الدعوات المأثورة عن نبينا الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه

وقوله " أمسينا وأمسى الملك لله " .. هذا ذكر لنعمة الله سبحانه وتعالى على العبد ، وإقرار بأن الملك كله بيد الله ، أما العبد نفسه فإنه أدرك هذا المساء بمنة الله عليه معترفاً بذلك أمسينا وأمسى الملك لله ، " أمسينا " أي أدركنا المساء وكنا من أهله في صحة وعافية بفضل من الله ومنّ ، هذا إقرار بمنة الله سبحانه وتعالى على عبده أن أدرك المساء وكان من أهله ، إذ إن من الناس من أصبح ولم يمسي ، ومنهم من أمسى ولم يصبح قد قال ابن عمر رضي الله عنهما « إذا أمسيت فلا تنتظر الصباح ، وإذا أصبحت فلا تنتظر المساء » فإذا بلغ العبد المساء وكان من أهله فهذه نعمة يذكرها العبد شاكرًا للمنعم سبحانه وتعالى ولهذا يأتي الحمد " والحمد لله " ، لأن قول " أمسينا " هذا ذكر للنعمة ، استشعارًا للمنة ؛ منة الله سبحانه وتعالى ، ثم أتبع ذلك بحمد المنعم سبحانه وتعالى وقوله " وأمسى الملك لله " هذا إقرار من العبد بأن الملك كله بتدبير الله سبحانه وتعالى وتسخيره ، فقوله العبد " وأمسى الملك لله " هذا إقرار من العبد واعتراف متجدد كل مساء بتجديداً لإيمانه بتدبير الله سبحانه وتعالى للكون وتسخيره للكائنات وأنها كلها طوعاً وتدبيره جل وعلا قال " والحمد لله " .. هذا حمد لله على النعمة بعد ذكر النعمة واستشعار المنة ، والحمد ثناء على المحمود بما هو أهله جل في علاه مع الحب له والذل ، والله جل وعلا يحمد على أسمائه وصفاته ، ويحمد جل في علاه على مننه وآلائه ، والحمد هنا تناول النوعين ؛ لأنه حمدٌ على النعمة " أمسينا " هذه نعمة أنعم الله سبحانه وتعالى بها على عبده وتفضل جل وعلا ، وقوله " وأمسى الملك لله " هذا اعتراف بربوبية الله وكمال تدبيره و أن الملك كله له ؛ فيُحمد على ذلك ، كما أنه يحمد على نعمه وآلائه المتوالية على عباده جل وعلا

وقوله " لا إله إلا الله " .. هذه كلمة التوحيد وهي قائمة على ركنين النفي والإثبات ، نفي العبودية عن كل ما سوى الله وإثبات العبودية بكل معانيها لله وحده إخلاصاً له وإفراداً له بالعبادة ، ف" لا إله إلا الله " تعني : أن لا معبود بحق إلا الله وأنه جل وعلا وحده الذي يجب أن يفرد بالعبادة ويخص بالذل ﴿ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ﴾

وقوله " وحده لا شريك له " .. هذا تأكيد لكلمة التوحيد بركنيها النفي والإثبات فإن قوله " وحده " تأكيد للإثبات و قوله " لا شريك له تأكيد للنفي " ، وهذا التأكيد اهتمام بمقام

التوحيد و تعظيم لشأنه ، و عناية به " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " وهذا إقرار بأن الملك كله لله فإن

قوله " له الملك " هذا أسلوب حاصر دال على الاختصاص ، وأن الملك كله لله رب العالمين لا شريك له ، لا شريك له في أي ذرة من ذرات هذا الملك ﴿ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ رَعَيْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا هُمْ فِيهِنَّ مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴾ " رب أسألك خير ما في هذه الليلة " .. هذا هو المطلوب و ما قبله وسيلة ، توسل انتظم أمور عديدة ، إقرار العبد بنعمة الله عليه ، وأن الرب سبحانه وتعالى هو وحده الملك المدبر لهذه الكائنات ، ومن ثم حمده جل وعلا على ذلك ثم إعلان التوحيد و تجديد التوحيد بكلمته العظيمة " لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير " ثم ذكر مطلوبه " رب أسألك خير ما في هذه الليلة " هذا وما بعده هو المطلوب ، وما قبله وسيلة " رب أسألك خير ما في هذه الليلة " أي خير ما أنزلته على عبادك من بركات ونعم وخيرات ، " أسألك خير ما في هذه الليلة " وهذا فيه التجاء من العبد إلى الله سبحانه وتعالى أن يكتب له الخير في ليلته وأن يقسم له فيها الخير والبركة " خير ما في هذه الليلة وخير ما بعدها " .. خص أولاً الليلة التي أقبلت عليه ثم أتبع ذلك بما بعدها من أيام وليالي

" وأعوذ بك من شر هذه الليلة وشر ما بعدها " .. أعوذ بك من شر كل شر كائن في هذه الليلة وحادث و حاصل فيها أن تعيذني من ذلك ، و أن تحميني لأن الاستعاذة اعتصام بالله ، والتجاء إليه سبحانه وتعالى جل في علاه من شر هذه الليلة و شر ما فيها وشر ما بعدها " من شر هذه الليلة وشر ما بعدها " أي من الليالي والأيام

" رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر " .. " أعوذ بك من الكسل " الكسل هو عدم نهوض العبد لمصالحه مع قدرته على ذلك ، أما عدم النهوض للمصالح مع عدم القدرة فهذا يسمى عجزاً ، والكسل أن يكون الإنسان عنده قدرة وفي صحة لكنه لا ينهض لمصالحه فيه فتور وخبول هذا يسمى كسل ، عنده قدرة بدنية على أن يقوم لكنه لا يقوم الذي أعاقه كسله ؛ وهذا يُتعوذ بالله منه ، والتعوذ بالله من الكسل ينبغي أن يكون مستصحباً بتحريك المرء للقيام بمصالحه ، فيتعوذ بالله من الكسل ويجاهد نفسه على العمل والنشاط وترك الخمول عملاً

بالحديث « احرص على ما ينفعك واستعن بالله » ، قولك " أعوذ بالله من الكسل " هذا استعانة بالله ينبغي أن يتبع بحرص على ما ينفعك و بذل للأسباب " أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر " وضبطت "سوء الكبر" بالإسكان والأظهر هو الفتح ، الكبر أي ما يكون في كبر المرء من ضعف ووهن وخرف كما في نظير هذا الدعاء الآخر» و أعوذ بك من أن أرد إلى أرذل العمر» أرذل العمر هو سوء الكبر، هذا يتعوذ بالله منه ، فجاء التعوذ بالله منه بلفظ سوء الكبر، و بلفظ أرذل العمر وهذا التعوذ يعني أن يبقى العبد متمتعا بعقله بالدرجة الأولى ، وعافيته وحواسه إلى أن يتوفاه الله ، كما في الدعاء «اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا واجعله الوارث منا»

" أعوذ بك من عذاب في النار وعذاب في القبر " .. " أعوذ بك من عذاب في النار " ، وهذا تعوذ بالله سبحانه وتعالى من عذاب النار والتعوذ بالله من عذاب النار يتضمن طلب المعونة من الله سبحانه وتعالى أن يقي عبده موجبات دخول النار، إذا قلت أعوذ بك من عذاب النار ، تضمن ذلك طلبك من الله أن يجنبك المعاصي التي توجب دخول النار، و كذلك ترك الفرائض الذي يوجب دخول النار، " وعذاب في القبر"، وعذاب القبر حق كما صح بذلك الحديث عن النبي الكريم صلوات الله وسلامه وبركاته عليه

قال " وإذا أصبح قال ذلك أيضا " .. إلا أن الصياغة في الصباح تعدل بما يناسب الصباح يقول : « أصبحنا و أصبح الملك لله والحمد لله » ثم في أثنائه يقول « أسألك خير ما في هذا اليوم و خير ما بعده وأعوذ بك من شر ما في هذا اليوم وشر ما بعده » .

[روى أبو هريرة رضي الله عنه ، قال جاء رجل إلى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال للنبي صلى الله عليه وسلم : يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتنى البارحة ، قال« أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرک » انفرد به مسلم،

وقوله : بكلمات الله ، قال الهروي هي القرءان . و التامات، قيل هي الكاملة و قيل هي النافعة الكافية الشافية مما يتعوذ منه]

الشرح..

ثم أورد رحمه الله تعالى هذا الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رجلا أتى النبي صلى الله عليه وسلم وقال " يا رسول الله ما لقيت من عقرب لدغتي البارحة " ذاكرا شدة الوجع والألم الذي أصابه من لدغة العقرب ونفوذ سمها إلى طرف من بدنه وأن الألم الذي أصابه كان شديدا ، عبّر عنه بقوله " ما لقيت من عقرب لدغتي البارحة " .. أي من شدة و وجع وألم ، فقال النبي عليه الصلاة والسلام " أما إنك لو قلت حين أمسيت أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضرك " .. أي لم يضرك سمّ هذه العقرب ، نعم يعني قد تلدغ المرء العقرب أو يصاب مثلا بلدغ شيء من ذوات السموم لكنه حتى وإن حصل ذلك فإن الضرر لا يكون ، ولو نفذ السمّ إلى البدن باللدغة لا يكون له أي تأثير على البدن ، لا يضرك، قوله " لم يضرك " .. لا ينفي وجود اللدغة ، أن تلدغه أو تلسهه لا ينفي ذلك ، لكنه لا يحصل ضرر، ويكون سمّها وإن نفذ إلى البدن لا تأثير له على البدن إطلاقا ، ولا يحصل للبدن أي ضرر لا ألم و لا غيره ،

وقد أورد الترمذي رحمه الله تعالى هذا الحديث في جامعه وذكر عقبه عن سهيل بن أبي صالح و هو من رواة هذا الحديث قال : " كان أهلنا تعلموها " أي تعلموا هذه الدعوات وهذا التعوذ " كان أهلنا تعلموها فكانوا يقولونها كل ليلة فلُدغت جارية منهم فلم تجد لها وجعا" اللدغة وجدت لكن لم تجد وجعا ؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم قال " لم يضرّك " ؛ يعني إن حصل شيء من الأذى أو اللدغ أو نحو ذلك من ذوات السموم فإنه لا يضر العبد ،

وجاء في رواية الترمذي لهذا الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال : « من قال حين يمسي ثلاث مرات أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم يضره حمّه تلك الليلة »

ومما يؤثّر عن القرطبي المفسر المعروف رحمه الله تعالى أنه قال كلاما معناه : " لما بلغني هذا الدعاء ما تركته كل ليلة ونزلنا ليلة بالمهدية - منطقة - فلدغت في تلك الليلة ، فتذكرت أنني نسيت تلك الليلة " ، الحاصل أن هذا التعوذ العظيم المبارك ينبغي أن يحافظ عليه المرء محافظة مستمرة كل ليلة يعنى به ثلاث مرات يقوله ، وأن يعوّد أهله وولده على ذلك ، مثلما قال سهيل رحمه الله " كان أهلنا " ، فيعوّد أهله على ذلك وولده بحيث يأتي به كل ليلة ، ولو قدّر أن أحدا منهم لدغ أو أصابه شيء من ذوات السموم فإنه لا يضره بإذن الله سبحانه وتعالى

قوله " أعوذ بكلمات الله التامات " .. نقل المصنف عن الهروي قال هي القرآن ، وهذا يحتمله اللفظ ، ويحتمل أيضا معنى آخر، وهو الكلمات الكونية القدرية ، لأن الكلمات التي تضاف إلى الله سبحانه وتعالى تارة تطلق ويراد بها الكونية القدرية ، و تارة تطلق ويراد بها الكلمات الشرعية التي هي وحي الله و تنزيله ،

" والتامات " أي التي لا نقص فيها بوجه من الوجوه،

و قوله " من شر ما خلق " .. أي من شر كل مخلوق قام فيه شر، وهذا تعوذ جامع لأن التعوذات المأثورة عن النبي صلى الله عليه وسلم منها تعوذات تفصيلية من شرور معينة ، ومنها التعوذ الجامع المتناول للشرور كلها كما في هذا الدعاء .

[ما يقال عند النوم وأخذ المضجع]

[روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال : كان النبي صلى الله عليه وسلم «إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت وأحيا و إذا استيقظ قال : الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا و إليه النشور» انفرد به البخاري]

الشرح..

قال [ما يقال عند النوم وأخذ المضجع] .. عند النوم يعني عندما يأوي المرء إلى فراشه ويضع جنبه على فراشه وهذا هو المراد بأخذ المضجع ، و فيه أن هذه الدعوات يقولها المرء بعد أن يأوي إلى فراشه و يضطجع فيه -على فراشه-

" إذا أخذ مضجعه " .. أخذ المضجع أن يضع جنبه على فراشه و رأسه عليه ثم حينئذ يأتي بهذه الدعوات ، وهذا فيه افتقار العبد إلى ربه سبحانه وتعالى لأنه سبحانه الله إذا أغمض عينيه ونام لا يدري ماذا يحصل حوله ولو كان هناك عدو من شياطين الإنس أو الجن يكون متمكنا منه تمام التمكن لأنه لا يشعر بكل ما يحصل حوله ، فيدخل في هذا النوم مفوضا أمره مسلما نفسه لربه سبحانه وتعالى طالبا منه الحفظ والإعانة والعون متجها إلى ربه مستعينا به جل في علاه لأن النوم أخو الموت بل هو مودة صغرى

قال " روى أبو ذر الغفاري رضي الله عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا أخذ مضجعه من الليل قال باسمك اللهم أموت و أحيأ "

" باسمك اللهم " الباء هنا باء الاستعانة ، باسمك اللهم هذا استعانة من العبد بربه وتفويض لأمره كله إليه جل في علاه

" باسمك اللهم أموت و أحيأ " .. أي محيائي ومماتي كل ذلك باسمك وفي كل ذلك ألتجئ إليك وحدك ولا ألتجئ إلى أحد سواك

" باسمك اللهم أموت و أحيأ وإذا استيقظ قال الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا " ..

إذا استيقظ قام من نومه في صحة وعافية و سلامة ، حمد الله على هذه النعمة أن أحيأ بعد أن أماتته

وقوله " بعد ما أماتنا " هذا دليل على أن النوم مودة ، النوم يعد مودة ويسمى موتا ﴿الله يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ فهو يعدّ موتا ويعدّ وفاةً فيحمد الله سبحانه وتعالى على هذه النعمة وكم من إنسان أغمض عينيه على فراشه ولم ينهض منه وقبضت روحه فيه ، فيذكر نعمة الله عليه بأن قام بصحة وعافية فيحمد الله

" الحمد لله الذي أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور " .. لما كان النوم شبيها بالموت بل هو مودة صغرى فإن القومة منه شبيهة بالنشور الذي هي القيام من القبور، ولهذا الوجه في الشبه قال " وإليك النشور " ، ولهذا يأتي في أذكار المساء " وإليك المصير " لأن الدخول في المساء ينتقل منه الإنسان إلى النوم ؛ هذا شبيه بالمآل والمصير، فناسب في المساء أن يقول " وإليك المصير " ، وأما في الصباح و عند القومة من النوم يقول " وإليك النشور " ، لأن الذي حصل هو النهوض من النوم شبيه من النشور الذي هو البعث من القبور.

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على عبدك ورسولك نبينا محمد و آله وصحبه ..